اربعين عاماً كان ضرباً من الفراغ؛ [واما] لأن اسرائيل بالذات، ولاسباب في التكنولوجيا العسكرية ذاتها، لا تصلح لتبنّي نظرية دفاعية» (المصدر نفسه).

وتساوقاً مع الرأي ذاته، رأى القائد السابق للمنطقة الوسطى في اسرائيل، الجنرال عميرام متسناع، في محاضرة القاها في اجتماع يهودي في واشنطن، الى انه مهما تكن طبيعة الحل السياسي في المناطق المحتلة، فان الجيش الاسرائيلي «يستطيع ان يجد، دائماً، الوسائل المناسبة للدفاع عن اسرائيل؛ وليس هامّاً ما هي الاتفاقيات التي سوف يتمّ التوصّل اليها» (معاريف، ١٥/٣/١٩٩٠).

وعكس متسناع مدى التفاعل الذي احدثته الانتفاضة داخل المجتمع الاسرائيلي، فاكد ان مزيداً من الاسرائيليين بدأوا يدركون عقم سياسة بقاء الاحتلال للاراضي ازاء مستقبل النزاع في المنطقة. ورأى ان «اكثر الاسرائيليين يدركون، الآن، بشكل افضل من السابق، انه من غير الممكن الاستمرار في الوضع الراهن... [وانه] لن تتوفّر لنا، مرة اخرى، عشرون سنة اضافية تشابه السنوات العشرين الماضية. ويدرك كثير من الاسرائيليين، الآن، انه لا يوجد حل عسكري للمشكلة». واضاف متسناع ان الانتفاضة الفلسطينية هي «اكثر من انتفاضة عسكرية؛ انها نمط حياة». واعترف بنجاح الفلسطينيين في طرح مشكلتهم على جدول الاعمال الجماهيري، لكنهم فشلوا، على حدّ قوله، في جهودهم لاقناع الجمهور الاسرائيلي في صدق نواياهم. ورأى متسناع، ان اتباع اسرائيل سياسة استخدام القوة المحدودة في مواجهة الانتفاضة «يضمن لنا البقاء اقوياء، ليس من الناحية العسكرية، فحسب، وانما من الناحية الاخلاقية ايضاً» (المصدر نفسه).

الى ذلك، فان اوساطاً اسرائيلية اكثر بدأت تدرك ان معالجة الانتفاضة عبر اسلوب القمع والارهاب، والبحث في تحسين انواع العيارات المطاطية والبلاستيكية، او في تحسين التركيب الكيميائي للغاز المسيل للدموع، لم يعد مجدياً، بل ان الامر اصبح يتطلب معالجة جذرية هي قضية ازالة الاحتلال والسعي الجاد الى تحقيق السلام.

وفي هذا السياق، رأى الصحفي غادي ياتسيف، انه يجب على الحكومة الاسرائيلية الجديدة ان تضع في سلّم اولوياتها السعي الى تحقيق السلام؛ ليس عبر التحركات الدبلوماسية التي تهدف الى هدر الوقت فحسب، وانما «بالدخول الشجاع الى جوهر المشكلة، بمعنى التباحث فوراً مع اي وفد يختاره الفلسطينيون، والذي سيكون مركباً، في معظمه، من اعضاء م.ت.ف. من اجل الوصول الى تسوية دائمة». ورأى ياتسيف ان التسوية الدائمة يجب ان تستند الى «اعتراف متبادل للحقوق القومية للشعبين. وان مثل هذ المسار السياسي بحاجة الى حكومة بديلة تعلن عن السماح بالنشاط السياسي في انحاء الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة كافة... ويجب التخلّي، مرة واحدة والى الابد، عن الاساس غير الديمقراطي في حكمنا العسكري والمدني في الضفة [الفلسطينية] وقطاع غزة... [وهي] ستكون مساهمة اولى، ومن جانب واحد، لتهدئة الأجواء، وتغيير طابع الانتفاضة، وخلق الارادة الطيبة في اوساط اعدائنا» (عل همشمار، ١٦/٣/١٩٩٠).

ودعا ياتسيف الى تسييس النزاع، ونقله، تدريجياً، من طريق الصراع العنيف الى طريق الصراع السياسي. وان قرار تسييس النزاع، او اتباع سلوك ديمقراطي ـ سياسي للادارة في المناطق المحتلة، «سوف يجلب الفائدة للجميع. ومن ضمنهم، ايضاً، جنود الجيش الاسرائيلي [المرابطين] في المناطق [المحتلة]، والذين تميّز معظم نشاطاتهم هناك، بطابع جديد. [و] من المناسب ان يكون مثل هذا القرار، على جدول أعمال الحكومة الجديدة. ويجب ان يكون مطلبنا الأول من الحكومة البديلة، اذا ما قامت مثل هذه الحكومة فعلاً» (المصدر نفسه).

محمد عبد الرحمن